فلسفة تعلّم اللغة العربية وبعض أسباب تراجعها حديثاً

د. عبدالله إنبية المعلول ـ كلية اللغات . جامعة الزيتونة

المقدمة :

تعتبر اللغة من أهم الوسائل التي يملكها الإنسان ؛ للتواصل مع الآخرين ؛ ولتبادل ونقل الأفكار بين الأفراد والجماعات والشعوب، وهي إحدى الوسائل الضرورية للتعبير والحوار ، وتكمن أهمية اللغة العربية في أنها من أقدم اللغات قي العالم وأنصعها ، حينما اختارها ربُّ العزَّة لأشرف كتبه وهو القرآن الكريم ، الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

لقد استمدت اللغة العربية مكانتها وعزَّتها من إجلال الله لها، في قوله تعالى:﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [1]. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾[2].

وقد اهتم الخلفاء والأمراء عبر العصور بالعربية ، وحرصوا على نقائها وبعدها عن اللَّحن . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ((تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة)) [3]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(ت 728هـ): ((اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيراً قوياً ليناً ، ويؤثر ـ أيضا ـ في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضا فإن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب به فهو واجب)) [4].

لقد كانت لغتنا العربية في القرون الإسلامية الأولى لغة العلم ، والحضارة والتقدم والرقي ، لدرجة أن أروبا كانت ترسل أبناءها لدراسة العلوم في الأندلس، واستمرت العربية لغة العلم والحضارة قروناً طويلة ، حتى انشغل أبناؤها بالدنيا، وتمسكوا بالسلطان ، فتنازعوا حتى ضعف شأنهم ، فتكالبت الدول الإستعمارية على أوطانهم وتراثهم وعلومهم ولغتهم ، حتى آل الوضع إلى ما هو عليه الآن .

إذا نظرنا إلى حال لغتنا العربية اليوم، فإننا نجدها قد تقهقرت عن عزّها الذي كانت عليه ، ولعلّ أهم أسباب تخلفها عن اللحاق بركب اللغات الأخرى ، هو تلك الهوَّة الواسعة بين المجتمعات العربية وإنجازات العلم والتكنولوجيا في الدول الغربية ، ومن المؤسف حقاً أن العرب لم يدركوا ـ حتى الآن ـ الخطر الكبير المتربّص باللغة العربية، حينما تحطمنا العولمة تدريجياً ، والتي هي السبب الأول في سيادة وتفوق لغات الدول المهيمنة ، على السياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم ، وهذا بدوره يهمّش لغتنا وما يتبعها من ثقافات مختلفة. وما(الانترنيت) إلاّ إحدى أدوات هذا الغازي الجديد ،الذي اعتمد على غفلتنا وإهمالنا للغتنا[5].

لهذا يجب علينا كعرب الوقوف مليّاً، عند الخبر الذي أوردته مجلة (الإيكونومست) البريطانية في شهر(أبريل 2010م) ، والذي مفاده أن الخبراء الغربيين يتوقعون وفاة اللغة العربية ، بسبب ضعف الإقبال عليها من مستخدميها من جهة ، وضعف الاستثمارات العربية في قطاع التعليم من جهة أخرى ، وعدم مواكبة القائمين عليها التقدم التكنولوجي والعلمي الكبير في العالم الغربي .

وتضيف الصحيفة أنه بالرغم من أن اللغة العربية هي خامس لغة من حيث عدد الناطقين بها حاليا ، لكن من النادر استخدامها في الأماكن العامة، ويقتصر وجودها على شاشات القنوات المرئية أو الصحف ، بالإضافة إلى الكتب المدرسية ، لكن ذلك لم يعد شائعاً أيضاً ، خصوصاً مع توجه أغلب أبناء الجيل الجديد لدراسة اللغة الإنجليزية والفرنسية، وأشارت المجلة البريطانية ، إلى أن ظاهرة الضعف في اللغة العربية وصلت إلى جيل القادة الجدد في المنطقة، ويبدي الخبراء ملاحظاتهم على دلائل قوية تقول: إن اللغة العربية في طريقها إلى الاختفاء ، وإن استخدام العربية الفصحى في الإعلام أو التربية أو في خطابات المناسبات العامة بين فترة وأخرى، لا يعني أنها اللغة الأم المتحدث بها خصوصاً في الدول العربية الغنية[6].

ويعلق أستاذ اللغة العربية في جامعة(أكسفورد) (كليف هولمز) ، على ذلك الخبر بقوله: ((إن غالبية الطلبة العرب يعتقدون أن تعلم اللغة العربية شيء غير منطقي، ولا يمت للواقع العملي بصلة ، خصوصاً في الأجواء العالمية المتاحة حاليا، حيث يتم تفضيل الإنجليزية)) [7].

مشكلة البحث :

إن مشكلة هذا البحث تكمن في حاجتنا إلى ثورة لدعم اللغة العربية، والبداية في تفعيل خطة عمل ممنهجة تكفل للعربية علو مكانتها، لتبقى لغة قوية تكسر هيمنة اللغات الأجنبية الأخرى.

إذا أردنا للغتنا العربية أن تنطلق من جديد ، فعلينا مواجهة الواقع، والبحث عن الأسباب الحقيقية لتراجع اللغة العربية أمام اللغات العالمية الأخرى، التي تزحف بقوة ، وتتغلغل داخل المجتمعات الإنسانية.

وليس معنى كل ذلك أن أتشيع للغة العربية ، وأغضُّ البصر عن اللغات الأخرى، فهذه حماقة ، ولكن أسألكم أن تنزلوها المنزلة الأولى ، حتى تبقى على سلطانها ، بل تمضي فيه .

إن كنوز اللغة العربية وفيرة لا تنفذ ، إنطوت تحت لوائها معظم اللغات القديمة ، والحضارات الإنسانية ، والعلوم العالمية، حتى إن العلامة البيروني (ت 440هـ) ، قال في ذلك: ((لو خُلِّد علم في غير العربية ، لاستغرب استغراب الزرافة في الجراب ، والجمل على الميزاب)) [8].

إن الخطر المحدق باللغة العربية قادم من عدة اتجاهات ، مستمد قوته من عدة عوامل، يمكن طرحها من خلال التساؤل التالي :

س ـ ما أسباب تراجع اللغة العربية حديثا ؟

هدف البحث :

يهدف البحث إلى معرفة أسباب تراجع اللغة العربية حديثا وكيفية معالجة هذه الأسباب .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في كيفية المحافظة على لغتنا العربية من تغول اللغات الأجنبية وانتشارها في عقر دارنا ، وإهمال شريحة كبيرة من العرب أنفسهم للغتهم العربية ، وعدم الدفاع عنها ، وإهمالها ، واستعمال اللهجة العامية في معظم نواحي حياتهم اليومية .

منهجية البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي التقريري في معالجته لمشكلة هذا البحث باعتباره المنهج المناسب لهذا الموضوع .

محور البحث :

يحاول الباحث الإجابة عن تساؤل البحث حول أسباب تراجع اللغة العربية حديثا من خلال النقاط التالية :

1- جمود العقل العربي :

توقف العقل العربي عن الإبداع والإنتاج، وفقدان الرغبة في التحدي، وضعف العزيمة على البحث والبناء، ومواكبة الأمم الأخرى ؛ حتى آل الحال إلى ما نحن عليه اليوم، وإذا بحثنا عن الأسباب ، نجدها كثيرة، ولكنها قلّما تقنع القارئ العربي ؛ لأننا لم نستطع هزيمة تلك الأسباب والتغلب عليها ، خصوصاً وإن الإنسان العربي مازال مستمراً في كسله وتثاقله ، كأنما الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد .

إن من أسباب ضعف العرب والمسلمين قلة إبداعهم وابتكارهم ، وعدم اهتمامهم بالمواهب المكتشفة لديهم ، ولن يخرجوا من هذه الأزمة ، إلاّ بإتقان لغتهم أولاً ، ثم الحفاظ عليها ثانياً.

2- سلبية مرافق الدولة في الدول العربية تجاه اللغة العربية :

كل فرد في المجتمع الإسلامي مطالب بتعلم اللغة العربية، مع إيصالها سليمة النطق إلى غيره ، كلما أتيحت له الفرصة في ذلك. وتقع على الدولة المسؤولية الكبرى في سن القوانين والتشريعات، التي تحمي اللغة العربية وتحافظ عليها ، كما يجب على

جميع المؤسسات الحكومية في الدول العربية، حماية اللغة العربية، بجعلها لغة التخاطب فيما بينها وبين المؤسسات الأخرى، وتنفيذ القوانين التي تحمي اللغة العربية وتصون كرامتها.

إن تهاون تلك الأطراف من المجتمع الإسلامي ، في حفظ اللغة العربية والدفاع عنها، كفيل بجعلها ترتد إلى الوراء، فلا تستطيع مجابهة اللغات الأخرى أو الوقوف أمامها.

3- سلبية المؤسسات التعليمية تجاه اللغة العربية :

المؤسسات التعليمية في الدول العربية، لم تضع سياسات تعليمية دقيقة ، ومفصَّلة لتنمية مهارات الطلاب والطالبات اللغوية ؛ حتى يتكامل تأهيلهم اللغوي والمعرفي والعلمي ، وليس خافياً على أحد أن كثيراً من المعلمين في الدول العربية لا يحسنون العربية كتابةً ، ولا نطقاً، ولا قراءةً ، ومن واجب المسؤولين تدارك تلك الكارثة العلمية، وإلزام المعلمين حضور دورات رفع كفاءة، حتى يجتازوا بنجاح أساسيات الكتابة بالعربية، والنطق السليم، مع المحادثة الصحيحة، والقراءة باللغة العربية الفصيحة .

4- قلة مراكز أبحاث اللغة العربية :

تعاني اللغة العربية كثيراً من الإهمال في موطنها، مثل عدم توفر مراكز أبحاث لغوية ، تبحث في الصعوبات التي تواجه اللغة العربية، وكيفية معالجتها، ومن هذا المنطلق وجب علينا ـ نحن العرب ـ إنشاء مراكز أبحاث لغوية متخصَّصة، تهتم بوضع الأبحاث والمؤلفات الحديثة ، وتوظف تلك الأبحاث في خدمة اللغة العربية ، وكذلك تزويد المراكز العلمية في مجالات أخرى ، بمختصين في العربية ؛ لأن ضعف اللغة العربية في مجال البحث العلمي، وغيابها عن مراكز الأبحاث المختلفة، يعدُّ من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعفها وتراجعها، أمام اللغات الأخرى.

5- ضعف طلبة التعليم العالي :

يعاني بعض طلبة مؤسسات التعليم العالي من ضعف كبير، في قدراتهم ومهاراتهم ومعارفهم اللغوية، وقد بالغت بعض مؤسسات التعليم العالي في التدريس باللغة الأجنبية ؛ مما تسبّب في إهمال اللغة العربية، والأسوأ من ذلك ، أن بعض أساتذة التعليم العالي، لا يجيدون استخدام اللغة العربية السليمة ؛ ممَّا ترتَّب عليه ضعف الطلاب في لغتهم الأصلية، وهذا خطر كبير على اللغة العربية ، إذ يجب على مؤسسات التعليم العالي، أن تراقب عن كثب وبشجاعة سير العملية التربوية، في جميع المراحل ، وخصوصاً العليا منها ، مع وضع ضوابط قانونية، لإلزام جميع الكليات العلمية للتدريس باللغة العربية الفصحى .

6- عدم اهتمام العرب بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها :

لم تستطع أي جهة عربية ـ إلا ما ندر ـ أن توفر المقررات والمؤلفات والتقنيات، التي يمكن اعتمادها لتعليم اللغة العربية لغير العرب .

إن كثيرا من محبِّي اللغة العربية، يتمنون في أبحاثهم أن تحصل العربية على اهتمام أكبر من قبل العرب أنفسهم، وأن يهتموا بنشرها ؛ حتى تصل إليهم ، ويستغربون في أبحاثهم ودراساتهم غياب المبادرات العربية ؛ لنشر هذه اللغة على نطاق أوسع، وبشكل يليق بمكانتها، وتلبية الطلب الكبير والمتزايد على اللغة العربية من الجاليات العربية في المهجر، ومن غير العرب المسلمين الراغبين في تعلم العربية، والاطلاع على الثقافة الإسلامية.

أتمنى من المسؤولين العرب ، الوقوف بجدية مع إخوانهم في الدول البعيدة والقريبة، غير الناطقين بالعربية، في جميع قارات العالم.

7- الإعلام العربي والعامية :

اتّجهت كثيرا من القنوات المرئية والمسموعة في برامجها المختلفة ، إلى استخدام لغةٍ ضعيفةٍ ، وهي خليط من اللغة العربية السليمة والعامية واللغة الأجنبية ، وهذا هو الاعتداء الصارخ والتشويه العلني للغتنا العربية من قبل بعض المذيعين ومقدمي البرامج والضيوف ، ليس له معنى إلا الإمعان في إذلال اللغة العربية وإهانتها أمام اللغات الأجنبية الأخرى ، من أجل تحقيق مكاسب محدودة الفائدة ، مقارنةً بتلك الخسائر الكبيرة التي يمكن أن تلحق بالعربية.

إذا لم نضع أجهزة رقابية في بلداننا العربية ، لمتابعة تلك الوسائل الإعلامية ، ووضع العقوبات الرادعة ؛ لردع المخالفين والمتَّهمين بإضعاف اللغة العربية ، بقصد أو بدون قصد ؛ فإننا نسهم في هدم لغتنا.

إن بعض تلك القنوات ، ووسائل الإعلام التي لا تهتم باتباع القواعد الأساسية أثناء النطق بالعربية ، يجب أن يتم إغلاقها عقاباً لها على المساس بثقافتنا الأصلية ، وسيادتنا الوطنية ، كما يجب استحداث برامج جديدة ؛ لنشر الوعي باللغة العربية ، وتعليم وإرشاد الناس بأهميتها[9] .

8- قلة اهتمام العرب بالمساجد خصوصاً في الدول غير الناطقة بالعربية :

إن الحرب على اللغة العربية تبدأ بالاعتداء على المساجد ، فلقد أدرك الأعداء مدى المنزلة التي يتميز بها المسجد في تعليم الكبار والصغار كتاب الله العزيز ، وعلوم العربية ، ومن ثم مدى الخطورة التي يشكلها المسجد بالنسبة لهم .

ذلك هو السر الذي جعل من المسجد الهدف الأول لأعداء المسلمين ، وبناءً على ذلك فقد تعرض المسجد على امتداد تاريخه الطويل لأنواع متعددة من الاضطهاد والتسلط العدواني ، للنيل منه ووقف خدماته الجليلة للمسلمين ، خصوصاً في الدول غير الناطقة باللغة العربية .

ومن نتائج عدم اهتمام المسلمين ـ اليوم ـ بالدور الحقيقي للمسجد في العالم الإسلامي ، أن أضحت تلك المساجد في أيامنا هذه جدراناً وأعمدة ونقوشاً ، فجردت من معناها الحقيقي ؛ لذلك فشلت مساجدنا ـ اليوم ـ في نشر العلوم الإسلامية في كثير من دول العالم الإسلامي ، ويأتي على رأس تلك العلوم القرآن الكريم واللغة العربية بمفرداتها المختلفة .

وفي وقتنا الحاضر ، نجد أن هذه الحرب ما زالت متواصلة على المساجد ؛ لأن المسجد هو الراعي الأول للثقافة الإسلامية ، والساعي إلى نشرها وتعليمها للبشرية . لهذا السبب ما زال المسجد يتعرض لاعتداء مثلث صليبي يهودي وثني ، لا همَّ لهم إلا وقف ذلك الإشعاع الحضاري الذي يحظى به المسلمون ، في ظل هذه المؤسسة الإسلامية المقدسة .

يجب علينا ـ نحن العرب ـ أن نعترف بأننا قصرنا في واجباتنا نحو مساجد المسلمين في الدول غير الناطقة بالعربية ، فلم نمدّهم بما يحتاجون إليه من معونات مادية ومعنوية ؛ ليقفوا بصلابة أمام المدّ النصراني التبشيري العنيف ، الذي يزداد يوماً بعد يوم .

9ـ عدم تأليف كتب ميسَّرة في النحو والصرف للناطقين بغير العربية :

يشير كثير من المثقفين و المهتمين بالعربية في بعض الدول غير الناطقة باللغة العربية إلى أن أكبر المشاكل التي تقف حجر عثرة أمام انتشار اللغة العربية في الدول غير الناطقة بها ، هو النحو والصرف للأسباب الآتية :

أـ الاهتمام بالقواعد أكثر من الاهتمام بالنصوص التي تُنمِّي الملكة اللسانية .
بـ كثرة العلل والحجج ، وكثرة المصطلحات اللغوية.
جـ اضطراب القواعد والإمعان في الغموض ، وجمود الأمثلة التوضيحية .
دـ كثرة الآراء في التأويل و الإعراب .
هـ عدم التدرُّج في ترتيب مسائل النحو ، ووصف القواعد . إذ يستعين النحاة بمجهول ، لإيضاح مجهول مثله .

وإذا بحثنا في واقع لغتنا العربية اليوم ، نجد أن الأدوات الأساسية لتعلمها وتيسير سبل استخدامها لم يحظ بالتجديد الذي حظيت به مثيلاتها من اللغات الأخرى ، بالرغم من أن الطرق الحديثة المتَّبعة في تعليمها ، مستوحاة من طرق تدريس لغات أخرى ، متناسين أن بعض هذه الطرق لا يتفق وخصائص العربية ، كما أن المعجم العربي لم يتطور في أغلبه .

إن رداءة بعض الكتب المؤلّفة في هذا العلم ، وصعوبة طريقة تعليمها ، وفساد لغة بعض الكتب العربية الجديدة ، وركاكة لغة بعض الصحف السياسية والأدبية ، من أسباب انحسار لغتنا العربية وجمودها ، وعدم مجاراتها للغات العالمية الأخرى[10] .

10- عدم الاهتمام بتعريب العلوم الحديثة :

إن تعريب العلوم الحديثة في العصر الرقمي ، هو المهمة الملحَّة اليوم، وإلاَّ فإن الفراق بين اللغة العربية وعلوم العصر أمر واقع لا محالة ، أي احتمال انفصال لغة الدين والقرآن الكريم عن لغة العلم الأجنبية ، ورحم الله أجدادنا ـ بني أمية وبني العبَّاس ـ حينما شعروا بالخطر المحدق على العربية ، بادروا إلى تعريب الآداب ، والعلوم اليونانية والفارسية والهندية ، فحافظوا بذلك على العربية من الذوبان في لغات أخرى ، فتنحسر شيئاً فشيئاً ، وهذا ما نخشاه في وقتنا الحاضر على لغتنا العربية .

إن تعريب العلوم البحتة وتعليمها في مدارسنا وجامعاتنا ؛ يقود إلى تحويل العلوم إلى ثقافة عامة ، وعلى الطالب والمواطن تناول الدروس والمعادلات العلمية بسهولة ويسر ، فتصبح العلوم المعرَّبة ثقافة يومية سهلة ؛ ممَّا يفتح الباب واسعاً للدخول في العلوم العصرية دون حاجز فكري .

وهناك من زعم أن اللغة العربية غير صالحة لأن تكون لغة العصر ، وأنها لن تستوعب ما جدَّ من العلوم والفنون ، وألفاظ الحضارة ، والرد على ذلك أن العربية لم تضق في ماضيها عن كل جديد ، بل استقبلته ، واتَّسعت لكل ما وفد إليها ، وكل ما احتاجت إليه من علوم وآداب .

ولنا في العصر العباسي أبلغ دليل ، حينما وسعت العربية الطب والهندسة والكيمياء ، والرياضيات وعلوما أخرى ابتكرها المسلمون لم تكن معروفة في العربية من قبل، كالنحو والصرف والعروض ، وآلاف المصطلحات ، ولم تعجز عن ترجمة علوم اليونان وفلسفتها ، وعلوم فارس والهند وحكمتها ، أما في العصر الحديث ، فترجمت إلى العربية آلاف الكتب من لغات أخرى ، وأثبتت قدرتها على استيعاب كثير من المعاني ، والألفاظ المترجمة عن لغات أخرى

أما إذا لم نستطع أن نجد لآلاف المسمَّيات الحديثة ، أسماءً عربية تقابلها ، بسبب نقصٍ في العربية ، فالعيب ليس فيها ، وإنما في الناطقين بها ؛ لأنهم هم المسؤولون عن اتساعها وضيقها ، وقوتها وضعفها [11] .

وتحضرني في هذا المقام أبيات لشاعر النيل في وصف اللغة العربية تقول :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايــةً ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم في وصف آلةٍ ... وتنسيق أسماء لمخترعــات ؟ !
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوَّاص عن صدفاتي[12].

11- خطر المدارس الخاصة على اللغة العربية :

ما نراه ونلمسه في المدارس الخاصة ، في أغلب الدول العربية والإسلامية ، هو الإقبال الشديد على تلك المدارس ، بينما وطنيتنا تفرض علينا أن ننأى بأولادنا عن مثل تلك المدارس الخاصة ، التي تجعل من اللغة العربية عبئاً ثقيلاً غير مرغوب فيه، والاعتناء كل الاعتناء بغيرها من اللغات . واللافت للنظر أن الدولة بمؤسساتها العلمية تغض الطرف عن سياسات تلك المدارس ، وكأنها غير معنية بها. علاوةً على ما يجده التلاميذ في عائلاتهم من تشجيع ومساندة ، خاصة عندما يرطنون باللغة الإنجليزية أو الفرنسية على حساب لغتهم العربية . أما على الصعيد الاجتماعي ، فقد أصبح مقياس تقدم أي مؤسسة تعليمية في العالم العربي استخدامها اللُّغات الأجنبية ، ليس كلغات أجنبية من الضرورة تعلُّمها بهدف التواصل مع شعوب وثقافات أخرى ، بل باعتبارها لغة التعليم لمعظم التخصصات الأخرى ، وأصبحت اللغة العربية عملياً وكأنها لغة أجنبية ، تدرَّس منفصلة عن معظم التخصصات الأخرى.

12- الإعراض عن القرآن الكريم من أسباب تراجع اللغة العربية :

ليس في وسعي أن أجمل ما ترك القرآن الكريم في اللغة من أثر ، فذلك شأن بعيد المنال ؛ لأن كلام الله متشّعب الطرق ، دقيق المسالك ، بحيث لا يخضع لحصر ولا ينقاد لاستقصاء ، ويحدثنا التاريخ عن أمم سادت حتى ملكت ، وضعفت حتى فنيت ، وقد كان لتلك الأمم لغات رافقت حياتها السياسية والاجتماعية ، وكانت مرآة تنعكس عليها صور وجودها ، وألوان حياتها ، فقويت بقوتها وضعفت لضعفها ، ثم زالت بزوالها ، كاللغة الفينيقية ، واللغة الآشورية ، واللغة المصرية القديمة لغة الفراعنة وغيرها . أما اللغة العربية قد وجدناها تطوي هذا التاريخ الطويل ، والأمد البعيد ، وتقطع تلك المراحل الشاسعة ، وتمتزج بأمم كثيرة ، وتواجه مدنيات مختلفة، فلا يجد الناس منها بُدًّا ولا منصرفاً عنها ، ولا يزيدها مرور الزمان إلا قداسةً وإجلالا . فما هو السر الذي يحيط باللغة العربية ويحميها من الزوال ؟ ذلك هو القرآن الكريم .

وقد حافظ أجدادنا على كلام الله فحفظوه وعملوا به ، وبنوا له الزوايا والخلاوي ، وحفّزوا أبناءهم على حفظه ، وعلَّموه لغيرهم من الأمم في حلِهم وترحالهم ، حتى وصل القرآن الكريم برفقة اللغة العربية إلى أقاصي الأرض ، وما نشاهده اليوم من مساجد وزوايا في قارات العالم ، إنما هو بفضل جهود أولئك التجار والدعاة العرب المسلمين ، حتى أصبحت اللغة العربية في حرز مكين ، لم تستطع أي لغة أخرى أن تجاريها أو تنازعها سلطانها .

أما في عصرنا الحديث ، فانقلبت الموازين ، و أصبح الاهتمام بالقرآن الكريم ضعيفاً ، فضعفت اللغة العربية خصوصاً في الدول غير الناطقة بها ، واكتسحت اللغات الأجنبية مجتمعاتنا بسبب بقاء عقولنا أسيرة لمستعمرينا السابقين ، الذين ينفقون ما لديهم

لاستمرار احتلالهم اللغوي ، باعتباره جزءاً أصيلاً من مشروع وجودهم على حساب وجودنا .

توصيات مجمع اللغة العربية . ويبقى التنفيذ :

تحت عنوان((قضايا اللغة العربية المعاصرة))، انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته التاسعة والسبعين، بتاريخ (25 مارس 2013م)، على مدار أسبوعين ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات وتوصيات أهمها ما يلي:

1- الدعوة إلى تفعيل وسائل الاتصال وتدعيمها، بين كل المجامع اللغوية العلمية العربية ؛ لمتابعة ما يحدث فيها جميعا، من أبحاث ودراسات وقرارات وتوصيات.
2- يدعو مجمع اللغة العربية الأقطار العربية التي لم تنشئ مجامعها اللغوية حتى الآن إلى سرعة إنجاز هذه المجامع ؛ تعزيزاً للرابطة المجمعية ؛ ومؤازرة للعمل المجمعي ؛ وعملاً على توسيع آفاقه ودعم إمكانياته.
3- العمل على تطوير المناهج وأساليب التعليم ، وتأهيل المعلمين وتدريبهم ، واعتماد اللغة العربية المعاصرة مدخلاً لتعليم اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم.
4- ضرورة الاتفاق على قواعد الكتابة العربية ، والأرقام العربية.
5- قضية ضعف اللغة العربية في وسائل الإعلام .
6- سرعة إنجاز المعجم الكبير، وهو أكبر معجم في تاريخ العربية.
7- إشكالية موضوع التعريب ، في مراحل التعليم المختلفة بالوطن العربي.
8- يدعو المؤتمر جميع القادة العرب ، والمسؤولين والممثلين للأقطار العربية، في المحافل الدولية إلى تبّنى استخدام اللغة العربية الصحيحة في كل المؤتمرات والملتقيات، وبخاصة المتعلقة بالأمم المتحدة ومنظماتها الدولية ؛ لدعم استخدام اللغة العربية .
9- ضرورة العمل على وضع شهادة كفاءة دولية، يشترط الحصول عليها لمن يمارسون تعليم اللغة العربية ، وشهادة دولية أخرى للناطقين بغير العربية.
10- وأخيراً، يدعو المؤتمر إلى ترشيد استخدام الشباب والناشئة، لوسائل الاتصال الجديدة الإلكترونية، وتشجيعهم على استخدام العربية في رسائلهم وتغريداتهم، بهدف تدريبهم على الكتابة الصحيحة [13].

هذه عيِّنة من قرارات مجمع اللغة العربية التاسع والسبعين، ولو قمنا بجمع جميع قرارات المجمع منذ إنشائه سنة (1932م) ، لوجدناها تعدُّ بالآلاف. ولكن التطبيق الفعلي لهذه القرارات هو ما ينقصنا ـ نحن العرب ـ فهل سنجد يوماً ما آذاناً مصغية من أصحاب القرار والمسؤولين، لتنفيذ ما أوصى به خبراء اللغة العربية؟ أو ستبقى تلك القرارات حبراً على ورق ؟ تنتظر القرارات اللاحقة لتحفظ في مكاتبنا، شاهدةً على قصورنا وتهاوننا وعدم تحمل مسؤولياتنا .

وليعلم الجميع أن التاريخ لن يرحمنا إن تقاعسنا في دعم لغتنا العربية في الوقت الضائع، وعندها سنندم بعد أن يكون الأوان قد فات.

نتائج البحث :

1- من خلال ما تم استعراضه حول بعض اسباب تراجع اللغة العربية حديثا توصل الباحث إلى النتائج التالية :

2- إن من أسباب ضعف اللغة العربية قلة إبداعات العرب وابتكاراتهم ، وعدم اهتمامهم بالمواهب ، وتشجيعها .

3- تهاون العرب أنفسهم في حفض اللغة العربية والدفاع عنها .

4- عدم الاهتمام بتطوير المعلمين ورفع كفاءتهم من خلال الدورات التدريبية حول اللغة العربية .

5- عدم إجادة بعض أساتذة التعليم العالي استخدام اللغة العربية السليمة ؛ مما ترتب عليه ضعف الطلاب في لغتهم .

6- عدم اتباع وسائل الإعلام القواعد الأساسية للغة العربية في البرامج المختلفة .

7- فشل المساجد في نشر العلوم الإسلامية في كثير من دول العالم الإسلامي .

8- قلة تعريب العلوم الحديثة في العصر الرقمي إلى اللغة العربية بزعم أنها غير صالحة لأن تكون لغة العصر .

13- التوصيات

حتى نستطيع نحن العرب النهوض باللغة العربية، يجب علينا تحمل مسؤولياتنا، والبحث عن المزيد من الأسباب التي أدَّت إلى تراجع لغتنا، ومن ثم معالجتها. وقد وفَّقني الله تعالى في إيجاد بعض هذه الأسباب وهي :

1- إعادة فتح كتاتيب ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، في كل مكان وصل إليه الإسلام .
2- دعم الطلبة والمحفِّظين مادياً ومعنوياً في كل مكان .
3- يجب أن تنتشر مسابقات القرآن الكريم في كل بلاد وصلها الإسلام، لأفضل قارئ، وأفضل تلاوة، وأفضل تجويد، وأفضل صوت، وأفضل حفظ بالتفسير ، وتذاع وتبثُّ في أغلب القنوات ، تحت رعاية الدولة أو القطاع الخاص ، أو يتكفل بذلك رجال الأعمال ، كما يبثُّون الآن عشرات البرامج لأفضل صوت عربي .
4- يجب على أصحاب القرار في الدول العربية إقرار تلك المسابقات في دول وسط أفريقيا ، غير الناطقة باللغة العربية ، ودول أروبا والأمريكتين، وبعض دول قارة آسيا، وعدم اقتصارها على الدول العربية كما نشاهدها اليوم.

5- العرب يملكون القدرة المادية على إنشاء مدارس للعربية في كل دول العالم، وذلك بأن يكون مع كل سفارة أو قنصلية لدولة عربية، مدرسة لتعليم اللغة العربية وكذلك مكتب لتحفيظ القرآن الكريم. ويجب علينا إلزام سفرائنا عدم التحدث باللغات الأجنبية، إلاّ عند الضرورة.

6 – يجب على أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا، الاستعانة في تدريس اللغة العربية بالوسائل السمعية والبصرية الحديثة، بمختبرات اللغة، والاستفادة من التقنيات الفضائية ؛ لنشر اللغة العربية عبر برنامج تعليم عن بعد، والاستفادة من تجارب الآخرين في كل المجالات، لمعرفة إستراتيجية التدريس ، ومداخله وأساليبه وتقنياته.

7- يجب أن يتقاضى معلّم اللغة العربية أعلى أجر في الدولة .

8- إن الحاصل في جامعاتنا العربية، ومعاهدنا العليا، أنَّ الطالب ضعيف المستوى،ليس له قسم يقبله إلاّ قسم اللغة العربية، أو بعض الأقسام التربوية الأخرى، وهذا مفهوم خاطئ يجب أن يتغير، فالطالب المتفوق هو ما تحتاجه أقسام اللغة العربية.

9- يجب على المسؤولين تأهيل المعلمين الحاليين ، وتطويرهم، ومدّهم بما هو جديد في علوم اللغة ؛ ليواكبوا التقدم الحديث في المجتمع ، وبخاصة ما يصدر عن مجمع اللغة العربية، والمؤتمرات والندوات.

10- إن تعريب العلوم الأجنبية أصبح مهمة ملحة ،وعلينا أن نثق بأنفسنا، ونترك لغتنا تصارع اللغات الأخرى ؛ حتى يسمعنا العالم بلغتنا.

11- يجب على المسؤولين تزويد مكتبات المدارس في جميع مراحل التعليم، بمختلف أنواع الكتب ، التي تُنمِّي قدرة الطالب في استيعاب وفهم لغته العربية الصحيحة.

والله ولي التوفيق

الهوامش :

1- سورة الشعراء ، آية 193-195.
2- سورة الزمر ، آية 27.
3- الزبيدي،أبوبكر:(طبقات النحويين واللغويين)،القاهرة: دار المعارف، ط/2، ص11.
4- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: (اقتضاء الصراط لمخالفة أصحاب الجحيم)، الرياض: مكتب الرشد،ج1، ص462.
5- السبعان ، ليلى خلف: (المواطنة اللغوية) . مجلة العربي،الكويت عدد . 663 ، (فبراير 2014م)، ص 18.
6- حداد، محمود: (الخطر على العربية خطر على ثقافة العرب العلمية) مجلة العربي ، الكويت، عدد 663 ،(فبراير 2014م)، ص 18.
7- المرجع السابق ، ص18.
8- البيروني،أبوالريحان: (ت 440هـ)، كتاب الصيدنة في الطب، تحقيق:إحسان إلهي، طبع في كراتشي، 1973م ، ص15.
9- عسكري، صادق: (الشبكة العنكبوتية)، هل اللغة العربية في خطر، ص4 ومابعدها. http: // www.atida.orG/Forums/archive/index. php/t-11497. html
10- البكّاء، محمد عبدالمطلب، (الاستثمار في اللغة العربية)، المؤتمر الدولى الثالث للغة العربية، دبي: 2014 م، ج4، ص564 ومابعدها.
11- الرَّجوي، جميلة الهادي،(ضعف الاعتزاز باللغة العربية سلوكاً وممارسة)، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي: 2014 م، ج4، ص205 ومابعدها.
12- ديوان حافظ إبراهيم.
13- شوشة، فاروق :(قضايا اللغة العربية المعاصرة في مؤتمر مجمع اللغة العربية التاسع والسبعين) . مجلة العربي، الكويت ، عدد 657، (أغسطس 2013م)، ص111.